حكى التابع ابن الهمام قال

لما ظهرت من مهابط الوحي والتنزيل، وعرصات تردد بها جبريل وميكائيل الى عاصمة
جديرة بحفظ حرم الخلافة، وحرم عاصم لمن لجأ اليه من المخافة لامراض عرتني ولاعراض اعترتني
نظمتني يد الزمان، في سلك سادات عظام، واحباب كرام، الذين رضعوا افاويق الوفاق
ورفضوا امرة الشقاق، وسقوا كؤوس الصفاء، وعدلوا عن طريق الجفا لهم في المعالي هم
عوالي شعرا

سادات صدق قد تسامى قدرهم ... لكنهم خفضوا الرؤوس لذي الولا
هاموا باودية العلوم فلن ترى ... فيهم خليا عن مطالبة العلا

واتفق بهم ابان قدوم فصل الربيع، باسماعي ان زهارة متنزهنا بمقود انوارع، فخلقنا بعبير نشاطها
متخلقا بلطيف سمات اسحارها، في قصر بعلية كانه النجم الزاهر، مطل على الخليج القسطنطيني بهجة
الناظر، قد حف بعرائس المقصور، ورياض عبقت بها روائح الزهور، حيث ملاعب الولدان
والحور، حيث تجتنى صنوف اللذات والسرور، حيث ساحب ذيال الحبر والحور، حيث الفلك
يتبختر في ذلك الخليج ويدور، والزوارق تنساب على وجه الماء بوجوه كالبدور، شموسها
عن الحسن مسفرة، ووجوههم بذلك النعيم مستبشرة، يقول الموحد عند مشاهدتها اللهم لا عيش
الا عيش الآخرة شعرا

يطل من كل دار حوله قمر ... وليس في الافق يا هذا سوى قمر
والماء مثل السما لونا وباطنه ... يشق عن نيرات الانجم الزهر

المنظوم قل في ملابس سندسية، ويهدي الينا نوافج مسكية، احاطت بد انهار جارية، واشجار دانية
قد غردت النسيم بقامات الغصون، وتغنت قيان الطيور، على منابر الفنون، شعرا

اضواءه طبق المنى وهواءه ... شتابه الولهان في الاسحار
والطبع معتدل فقل ما شئته ... في الظل والانهار والاشجار

فما زلت مع تلك العصابة في اطيب عيش خالين عن ارتكاب الخلاعة والطيش، نجول تارة في
متنزهات الكرة الارضية، وما قيل في ذلك، وتارة في الافلاك العلوية، وبديع صنع مالك الممالك
وتارة نجول في احوال دولتنا العلية الشان، وحسن مزايا آل عثمان، وفي احوال الناس معشر الاسلام الآن
وكيف تراجعت احوالنا بحسن تداركات سلطاننا المعظم زهد الزمان، حيث كشف عن ساعد الجد وشمر
وهجر المضجع وشد المئزر، وباشر احوال الملك بذاته السنية حتى تداركتنا العنايات الربانية بهمة
الملوكانية، فاشتدت عمد الملك، واذنت بالنجاح، وسمع صريرا لاقبال ينادي بحي على الفلاح
فاصبح الاسلام بحمد الله تعالى قرير العين، لا زال ينازع اعنة الترقي في كل وقت وحين، ومرة
نجدنا نجول في مفازات قصص من مضى من ذوي المجد والنبا، واخرى نتذكر معاهد الاوطان
والربا. وكيف حالنا اذا دهمنا الشتاء هاهنا، الذي يصير فيه بهذه الارض اشد لعنا بتواري
فيه عروس الشمس في خدرها، وتهمي السحب بوابل قطرها، حتى ترى الاطراف منعطلة والعين تمج
والانوف منهطلة، والتعبير والجمر في ارتعاش، يود ان لا يبرح من كن الحاف، وان لا يفارق
لين الفراش، يستوي فيه الموحد وغيره في العكوف على النار، والاصطلاء بها ليلا ونهارا، فاسعد
الناس اذ ذاك ملتف في بيت يأويه، وغاية نعمه وتدنيه، ولديه سفر جامع للفنون يسليه،
كسعود المطالع، لعلامة الدين والدنيا الامام الاياسي لوهبه، فلله دره لقد ابدع فاتقن واجاد
وجمع فوفى فيه لذوي الرغبات بالمراد كافاه الله تعالى بالحسنى وزاد، وانكد الناس معدم احوجه
الحال الى مصادمة تلك الاهوال بجنى الاوصال ببدنه لتحصيل قوته وذويه، يلقى المطر على

هامته

هامته، والفلج يطرق في لحيته، والميازيب تنصب على وجنته، شعرا

شتاء تلصق الاشداق فيه ... وبرد يجعل الولدان شيبا
وارض تزلق الاقدام فيها ... فما تمشي بها الا دبيبا

ثم نضرب صفحا عن ذلك وننتقل الى نقل مفادات صحف الاخبار وقد تنوعت بمجلسنا
من سائر الاقطار فمنا من اجتذب الجوائب الجوابة بنصحها ونثر علينا من عقود دررها
ومنا من تناول الاعتدال الاعدل، يتلوها ووجهه بالبشر يتهلل، واخذ بعضنا جريدة الوقت
الغراء التي هي بفرائد الفوائد كل يوم تترى، ووقفت روضة الاسكندرية المؤرخة
١٧ في القعدة سنة ١٢٨٠ هجرية بيد سيدنا الفهوم حيزوم بن قيدوم فبينما هو يترنم
بفصاحتها، ويتبهج بها عشقا، اذ عثر على عبارة رائقة، والفاظ فائقة، للاديب الاريب
حسن بك حسني تتضمن مناقشة شرعية على مقالة القاها تاج هام السادة الاشراف
الحسينية، واحد اركان رجال الدولة العلية، صاحب الدولة، والسيادة، نجم العلوية، حضرة فضل
باشا في الجوائب البهية المؤرخة ١٠ في القعدة سنة ٨٠ هجرية، ابان فيها حسن بك للمومى اليه
عن عجب عجاب، بفصاحة لفظ وجزالة خطاب، تفضل باهداء نصيحة لحضرة المشار اليه على
رؤوس الاشهاد، اعانه عليها قريحة سيالة، وذهن وقاد، فضل من الله او نبه، لبيه صرفة في
في منابذة من يؤذيه، قال صديقنا حيزوم بن قيدوم، وهو يتلوها تلاوة، توقظ النائم
وتغرد بها تغريد الحمائم، الا انها نصيحة وان انصبت على حجر متلاطم، فقد مست حقوق بني
هاشم، نازعتهم اولا في اصطفائهم للنبوة، بتقديم الاباء من بين العالمين، وهو امر قد تواترت
به احاديث سيد المرسلين، ثم غالطت المقالة في بحث هذه القضية، حيث ادخلت الشيخين
رضي الله تعالى عنهما في المفضولية مع ان المقالة عن ذلك بمعزل مبين، كما هو واضح فيها لكل
منصف فطين، ولعمري انه لا يكابر في فضلهما عليها من حيث الصحبة والعلوم، الا معاند مكابر
غشوم، كيف والمقالة لم تخض في اصطفاء اهل البيت الا من حيث البضعة النبوية، وبيان ما ميزتهم
به الحضرة الالهية، ثم صرحت تلك النصيحة بان بنوتهم مجازية، وكلام النبوة مفصح بانها
بنوة حقيقية، فانبئك ايها المحب الاريب عن صواعق الامام ابن حجر، فلو شاهدت طورها لصعقت
ولو خضت لججها لبادرت بقولك امنت، وكيف غفلت ايها الحال من قال ما في جوهر العقدين
وذخيرة المال، شرح عقد اللآل، فلعمري لو شربت من دنانها وجلت في جنانها لثملت طربا ورأيت
شيا عجيبا ولاتخذت سبيلا في البحر سربا قلت الصاحبين، حيث ارتدا على آثارهما قصصا
وجدا عبدا اوتي علما فالتمسا منه رشدا، قال عليه الصلاة والسلام ان الله اصطفى من
ولد ابراهيم اسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى
من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فتدرات النعم من صفوة الصفوة، وقال عليه
الصلاة والسلام ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما، فذلك قوله واصحاب اليمين
ما اصحاب اليمين الى ان قال وجعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا، ولا فخر فذلك قوله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا، قال صاحب (الفتوحات) المالكي فدل هذا انهم
استحقوا بذلك ان يكونوا خير الخلق الخ، لقد رايت خط الجبرتي انعامي صفي صاحب الجيش شعرا

واعلموا بنيه الحصر ... وقصر المراد فيهم قصرا
فلا يريد الله فيهم غير ان ... يذهب عنهم كل رجس ودرن
مؤكدا تطهيره بالمصدر ... منكرا اشارة للعبقري

Copyright © King Saud University